

وظائف الابوين اتجاه ابنائهم

ان اهم وظيفه تقع عاتق الرجل والتي دعا اليها الاسلام واكد عليها هي الاختيار على وفق ما حث عليه الشرع واعني بالاختيار "الزوجه الصالحة" لان الخطوة الاولى تقع عليها بقية الخطوات ليتكون البناء فقد اكد الاسلام عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم على اختيار الزوجه حين قال: "اياكم وخضراء الدمن" او "تخير ارحاما لنطفكم" وقد اكد القران على ما يشمل هذا المعنى قال عز وجل: "ولأمة مؤمنة خير من كافرة ولو اعجبتكم" كما اتذكر في سياق حديثنا هذا ذلك المثل القائل: "ان من يتزوج امرأه من اجل جمالها فقط كمن يشتري بيتاً من اجل طلائه" اذن الاختيار هو المهمة الاولى و الاصعب فان صح وسلم كان البناء عليه اكثر رصانة، اما مواصفات الاختيار فقط اختصرها الاسلام بأن يكون الرجل والمرأه ذات دين ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اذا جاكم من ترضون دينه وخلق فروجه" فالدين والخلق لهما الكفه الراجحه لأن الله عز وجل لا ينظر الا الى عمل الانسان هذا العمل مترجم في سلوكياته التي يحددها الدين والخلق

ان الوالدين يتحملان مسؤولية عظيمة او ضحنا بدايتها وليس لها نهاية حتى وان بلغ الاولاد سن الرشد فهما يمثلان القدوة، بل ان انعكاس خبراتهم المعرفيه وسلوكياتهم تضع اللبنة الاساسيه والاولى في سلوكيات اطفالهم لان الطفل في المرحلة الأولى يميل الى التقليد وسرعة التأثر بالآخرين وتقبل كل ما يبذر فيه لذا فان المسؤوليته تتحول بعد الاختيار منذ اللحظه الاولى التي يرى فيها الطفل النور في اختيار اسم مناسب لان الاسماء عناوين ولا بد من اختيار عنوان يستحسنه الآخرون ولا يستعيبه الطفل عند مرحلة الوعي ثم تنسحب المسأله لأشباع الحاجات الضرورية والاساسيه من المأكل والملبس وتوفير المسكن وقد جاء التشريع الاسلامي ليقيد اشباع تلك الحاجات بلفظة "الحلال" مؤكداً على بعدها الديني والاخلاقي والبايولوجي فان الاشباع الحلال للحاجات له مذاق وطعام يبعثان على الراحة ورضى النفس ويضيفان سعادة على ملامح النفس الانسانيه. لان هذا يعني ارضاء الله عز وجل وهذا شيء لا يقدر بثمن واحساس الارضاء له لا يوازيه احساس. وان الحرام واعوذ بالله منه يسحب الى الرذيله ويحضرنا هنا قصة شريك بن عبدالله بن سنان بن انس النخعي حين دعاه المهدي ايام الخلافه العباسي وكان الاول عابداً وزاهداً وطلب منه الثاني اما ان يوليه القضاء او يعلم ولده او يأكل عنده فرأى الاول ان الاكل اخف شيء عنده فأكل عنده فقال خادم المهدي: يامولاي لا أراه يصلح بعدها وقد قبل شريك بالقضاء وعلم ولده وكان هذا والعياذ بالله من اكل الحرام (وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٦٥) كما ان الحرام يقسي القلب فاماذا سيعلم قاسي القلب لابنائه؟ وظيفة اخرى تقع على عاتق الابوين الا وهي حسن الادب وكلمة الادب وردت مرادفه لكلمة التربية شأنها شأن بعض المصطلحات الاخرى كالتزكية والتهديب وقد اكد الرسول محمد صل الله عليه وسلم واله على هذا المعنى في قوله "حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه" (كنز العمال /خبر ١٩٢) كما يقول الامام علي عليه السلام "لا ميراث كالأدب" ويحمل الامام السجاد عليه السلام الابوين كامل المسؤوليته في هذا الموضوع حيث يقول: "انك مسؤول عما وليته به من حسن الادب" (بحار الانوار ج ٧ ص ٩)

وحسن الادب يأتي من اجادة الابوين في سلوكياتهم كل ما هو ايجابي وصحيح من الناحيتين الشرعية والاجتماعية لان مع الوعي الاول للطفل يرى صورتيهما امام ناظره فأننا نرى الكثير من الاطفال يميلون الى تقليد ابائهم في طريقة الاكل والمشى او الجلوس او الحديث وهذا يجعلنا حذرين فيما نقوم به من افعال لأن افعالنا لها انعكاسات على اطفالنا الذين دائماً نتمنى ان يكونوا افضل مما نحن عليه.

نتذكر ايضاً حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم " اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة اشياء صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له " ونحن نؤكد على صلاح الولد ولكن من اين يأتي هذا الصلاح؟

انه يتكون من حسن الادب "التربية الصحيحة القائمة على سلوكيات اقرها الاسلام في تشريعاته واوصى بها الرسول صلى الله عليه واله وسلم في احاديثه"

فالحلال والحرام والعفة والاخلاص والصدق والامانة والمساعدة وحسن الاختيار وحسن الظن والعطف والاحترام وحسن التفكير وتأمل الاشياء ومخافة الله عز وجل سراً وعلانية وحب الاخرين في الله تعالى وانكار الذات وقضاء حوائج الاخرين وكل القيم الدينية التربوية التي حث عليها الدين الاسلامي هي الواجب غرسها ومواصلة دعمها لاجل بناء ذات الطفل فأذا كان الشاعر يقول :

كل امريء جار على ما تعودا

فقد اوجب علينا تعويد الاطفال على كل ما هو حسن يساعدهم على تنمية شخصياتهم بصورة عملية فقد يخرج اب وابنه الى السوق ثم يصادفنا رجلاً فقيراً واجب مساعدته فعلى الاب ان يضع النقود في يد ابنه ثم يحثه على ان يسلمها الى ذلك المتعفف ، او مساعدة الجارة المسنة في حمل أثقالها او معاونة الجيران في بعض اعمالهم ، ان ممارسة الخير بشكل عملي تدعو الى الاحساس اكثر بقيمة العمل المؤدي ومنفعته.

فأذا اردنا ان نرى ونتمثل اشكال التربية القويمة لأطفالنا علينا ان نذهب الى تراث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وال البيت الاطهار لنرى ماذا يفعلون ويقولون في هذا المضمار كي نفتدي بهم في هذا المجال فهم وحي الله على الارض وهم الامتداد الالهي فنحن نرى ان الامام علي عليه السلام في مقولته : "قلب الحدث كالارض الخالية ما ألقى فيها من شيء الا قبلته " انه يدفعنا الى حسن الاختيار وقت البذار وحسن المراعاة وحسن المواصلة والحرص حتى تتم العملية على اتم وجه واكمل صورته. كما اذا كان يتم عند الامام علي عليه السلام لايغني موت الاب بل ذلك الذي ينقصه الخلق والادب حين يقول:

ليس اليتيم من مات والده بل اليتيم يتيم العلم والادب

اذ أن الابوين عليهما المسؤولية الاكبر في مساعدة ابنائهم ان يخطوا خطوات صحيحة وسليمة في حياتهم ولاسيما في بدايتها فالبناء القائم على وفق المواصفات الجيدة بناء يمكننا ان نعول عليه في قادم الايام وان نواصل البناء فوفاً لتربية الانسان وأعطاه شخصيته ابعاداً قيمة ليست بالعملية السهلة وهذا ما جاء من أجله الاسلام لذا أكد على الطفولة

ومراعاتها وكيف تكون البداية معها على اساس تتابع الخطوات واحترام مستلزمات كل مرحلة يمر بها الطفل ، ولا اعتقد ان بقية الاديان السماوية او الوضعية او الثقافات والفلسفات التي خاضت في هذا الجانب اعطت او تناولت او اوضحت بشكل ملم وكامل مثلما بين الدين الاسلامي